الاتجاه المقاصدي

في تفسير الشيخ محمود شلتوت

"التأسيس والبناء المنهجي"

إعداد الدكتورة

نصـيرة غمـاري

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

الاتجاه المقاصدي في تفسير الشيخ محمود شلتوت" التأسيس والبناء المنهجي"

نصيرة غماري

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

البريد الإلكتروني: ghomari.nacera@ensb.dz

الملخص:

سعت هذه الورقة البحثية إلى إبراز جهود الشيخ "محمود شلتوت" الرائدة في تجديد الخطاب الديني بما يتوافق مع تحوّلات أنساق المعرفة ويستجيب لمتطلبات العصر وتحدياته؛ ذلك أنّ الإمام وهو يفسّر سور القرآن الكريم حرص على تقريبه من الأفهام بتوجيه المتلقي إلى الطريقة المثلى للانتفاع بهداياته.

وفي ضوء هذه الرؤية الأصولية المقاصدية شدّد على الوظيفة الإصلاحية للمقاصد الخطابية العليا للقرآن، الداعية إلى ترسيخ القيم المجتمعية ورعايتها.

لقد أثبت البحث رؤية الشيخ التقريبية في التفسير التي تعرض عمّا يصرف انتباه المتلقي عن هذه المقاصد كالصراع العقدي والتعصّب المذهبي أو التأويل المتعسّف. وقد ظهرت هذه الرؤية في تحليله غير المسبوق لنداءات القرآن وعلاقتها بالفطرة، بالاستناد إلى عمليتي الاستقراء والاستنتاج.

كما كشف البحث عن فاعلية المنهج الموضوعي في التفسير – الذي استحدثه الشيخ – في إثبات مسايرة القرآن للواقع مرسّخا بذلك منهج الشيخ "محمد عبده" الاجتماعي في التفسير.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه المقاصدي، المنهج الموضوعي، التفسير المقاصدي، التفسير الموضوعي، محمود شلتوت

The Objective Tendency in the Interpretation of Sheikh Mahmoud Shaltut "Foundation and Methodological Structure"

By: Nassira Ghamari
The Higher School of Professors
Bouzareah, Algeria
Email: ghomari.nacera@ensb.dz

abstract:

This research paper has been designed to trace the pioneering efforts of Sheikh Mahmoud Shaltut to renew the religious discourse in accordance with the modern transformations of knowledge systems, and to meet the requirements and challenges of the time. During the process of interpreting the Holy Quran, Imam Shaltut was keen on making it accessible to the public by directing the recipient to the best way of benefiting from its guidance. In the light of this fundamentalist and objective vision, Sheikh Shaltut has focused on the reformative function of the higher rhetorical objectives of the Holy Qur'an which call for consolidating and maintaining community values. This research paper has proved the approximate vision of interpreting the Holy Qur'an, as shaped by Sheikh Shaltut, and which turns away from ideological conflict, sectarian fanaticism or fanatical interpretation which may cause distraction to the recipient of those objectives. This vision has appeared clearly in Sheikh Shaltut's unprecedented analysis of the Qur'anic calls and their relation to nature, relying on both induction and deduction. Moreover, this research paper has revealed the effectiveness of the thematic approach of interpretation innovated by Sheikh Shaltut in his trial to prove that the Holy Qur'an keeps pace with reality, thus supporting Sheikh Mohammed Abdou's social approach of interpretation.

Key words: objective tendency, thematic approach, objective interpretation, thematic interpretation, Mahmoud Shaltut.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

يشترك الاتجاه الأصولي مع الاتجاه اللساني التداولي في التصوّر والأهداف؛ ذلك أنّ المقاربة التداولية pragmatics للخطاب تتخذ من مفهومي "القصـــدية" intentionality والســـياق أداتين إجرائيتين حاســـمتين. يشـــير الأول إلى الحالات العقلية والأهداف المتغياة من الأفعال الكلامية بوصفها إنجازا لأفعال (كالأمر، والاستفهام والوعد ..) ؛ ومن ثمّة تؤدي مقاصد المتكلم ومعتقداته وأهدافه دورًا مهمًا في تشكيل المعنى.

في حين يشـــير الثاني إلى دوره الإجرائي في تحديد هذا المعنى وتوجيه المتلقي إلى المقاصـــد المباشـرة (الصـريحة) وغير المباشـرة (الضـمنية) من خلال ربط فعل الكلام بظروف تلفّظه وخلفية المتلقي، والإطار الاجتماعي [١].

بناءً على هذا التصوّر للوظيفة الإنجازية المؤسساتية للغة، تُعتبر دراسة طريقة استخدام اللغة في الســياق، وفهم العلاقة بين أفعال الكلام والقصــد والبحث عن الاســتراتيجيات التواصــلية التي يســتعملها المتكلّم للتأثير في معتقدات المخاطب والمجتمع أمرًا بالغ الأهمية لتفســير المعنى والتواصل الناجح بين المتخاطبين.

ولا يخفى تواشــج هذا التصــوّر لوظيفة اللغة مع تصــوّر الأصــوليين، بانتباههم إلى مقاصــد الخطاب الديني والتقعيد لها، خاصّـة المقاصـد الخطابية، فمعرفتها " وتحقيقها هي الفائدة الكبرى

(١) - ينظر كتاب:

J- R- Searle: les actes de langage,Essai de Philosophie du langage,préface d' Oswald Ducrot, Editions Hermann,1996.

والغاية القصوى للقرآن وعلومه ومباحثه"[١]، وقد صنّفها الريسوني ضمن المقاصد العامة للقرآن في القسم الثالث الذي عرفه بما يلي:" يتعلق هذا القسم الثالث بالمقاصد العامة الجامعة التي أنزل القرآن لأجل بيانها للناس وتوجيههم إليها وحثّهم على إقامتها ورعايتها بحيث نجد العناية بها والقصد إلى تحقيقها في عامة سوره وأجزائه سواء أكانت في عقائده أم في أحكامه وآدابه أم في قصصه أم في أي صنف من آياته"[٢] .وهي مقاصد شغلت حيّزا واسعا في مصنّفات فخر الرازي وموافقات الشاطبي وابن عاشور وتفاسير مدرسة "محمد عبده" ذات النزعة العقلية.

بناء على هذا التصوّر، بنيت البحث على الإشكالية الآتية: ما مسوّغات انتهاج الإمام الاتجاه المقاصدي وما هي عدّته لوصل التنظير بالتطبيق لتحقيق مشروعه؟

أما المنهج المعتمد، فهو المنهج الوصفي في قراءتي للمدوّنة والتحليلي المتوسّل بالمفاهيم الإجرائية للتداولية باعتبارها مقاربة فلسفية لغوية لتقييم الأفكار والأفعال وفقًا لآثارها العملية، ومن ثم تهتم في المقام الأول بالمآلات العملية والنتائج الملموسة لتحديد صحة المعتقدات والمواقف وقبولها.

وقد وزعت البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: البناء المنهجي للاتجاه المقاصدي

١ – مفهوم الاتجاه والمنهج.

٢– مقومات الاتجاه المقاصدي.

أ– مراعاة الأصل التخاطبي.

---

(١)– أحمد الريسوني: مقاصد المقاصد– الغايات العلميّة والعمليّة لمقاصد الشريعة–، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت لبنان٢٠١٣، ص ٩.

(٢) – المرجع نفسه، ص ١١.

ب- القراءة التدبرية للقرآن.

ج- المنهج الموضوعي.

د- إجرائية المصطلح القرآني في المنهج الموضوعي.

المبحث الثاني: مقاصد القرآن العليا في "تفسير شلتوت"

١ - نداءات القرآن ومقاصدها

٢- القصة القرآنية

٣- فواتح السور

المبحث الثالث: مقاصد الاتجاه المقاصدي في تفسير "شلتوت"

١-الدعوة إلى الوسطية ونبذ التطرّف

٢- الإرشاد إلى طرق الدعوة

٣- الدعوة إلى التجديد

٤-تحذير عموم المسلمين

٥- إذاعة الوعي الديني

الخاتمة.

المبحث الأول

البناء المنهجي للاتجاه المقاصدي

يعتبر المنهج الموضوعي الذي استحدثه الشيخ ثمرة الاتجاه الإصلاحي الذي أسّسه الشيخ "محمد عبده" " بالدعوة إلى التجديد والتحرّر من قيود التقليد، فاستعمل عقله الحر في كتاباته وبحوثه، ولم يجرِ على ما جمد عليه غيره من أفكار المتقدمين وأقوال السابقين"[١] .

ولقد استحقّ بهذا الصنيع أن ينسب المنهج إليه بوصفه أول من صرّح بخطواته المنهجية وأهدافه؛ ويأتي اجتهاده المنهجي امتدادا لجهود السلف في هذا المجال، إذ" جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور وخاصة القصيرة منها، وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين مقاطع بعض السور، كما فعل الفخر الرازي في تفسيره الكبير، وكذا فعل البقاعي في نظم الدرر، وعبد الحميد الفارهي في كتابه نظام القرآن" [٢]، وترسيما لجهود معاصريه من أصحاب النزعة العقلية.

١ - مفهوم الاتجاه والمنهج.

يحيل مصطلح "الاتجاه" إلى الإطار العام للتفكير والتحليل فهو رؤية عامة قابلة للتطور والتوسّع ويخصّص بالإضافة فيأخذ منحى فلسفيا أو اجتماعيًا أو اقتصاديًا أو ثقافيًا.. إلخ.

في حين يحيل مصطلح "المنهج" إلى الأدوات الإجرائية أو التقنيات المستخدمة الموصلة إلى الهدف المسطّر.

ينتج عن هذين التعريفين، تلازم المصطلحين حيث يوجّه الاتجاه الباحث إلى المنهج المناسب في التحليل لتحقيق رؤيته.

وفق هذا المفهوم العام، يبنى الاتجاه المقاصدي على مفهوم القصد من الفعل التواصلي، أي

---

(١) - محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسّرون، مكتبة وهبة، ط٨، ٢٠٠٣، ج،٢ ص ٤٠٧.

(٢) - مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي - نشأة التفسير الموضوعي - دار القلم، ط ٤ ،٢٠٠٥ ص٢٩.

ما يتغيا الخطاب أن يبلّغه لمتلقيه كما سبقت الإشارة إليه.. في حين يرتبط المنهج الموضوعي ارتباطًا وثيقًا بالقصد الإصلاحي للمفسّر الذي يسعى إلى الارتقاء بالمجتمع مستنيرا بتوجيهات القرآن.

٢- مقومات الاتجاه المقاصدي:

لم يضبط الأصوليون الأوائل مصطلح القصدية بتعريف حدّي يدل عليه بذاتياته. وإنما اقتصروا على تعريفه إما لفظًا أو تقسيمًا، ففي الأول يتمّ بيان معناه بلفظ المصلحة والعلة باعتبارهما مسوّغي فعل التقصّد ، وفي الثاني يتم بيان معناه بذكر أقسامه كونها خاصة من خواصه. وإلى هذين النوعين من التعريف ينحو قول الشاطبي: "وهي أن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا.. ولما اضطر في علم أصول الفقه إلى إثبات العلل للأحكام الشرعية، أثبت ذلك على أن العلل بمعنى العلامات المعرفة للأحكام خاصة.. وإذا دل الاستقراء على هذا، وكان في مثل هذه القضية مفيدا للعلم، فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة، ومن هذه الجملة ثبت القياس والاجتهاد، فلنجر على مقتضاه" (١) . وهو السبيل نفسه، الذي سلكه أحمد الريسوني في تعريفه مقاصد الشريعة تعريفًا باللفظ: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد" (٢)

والمتتبّع لمنجز الشيخ شلتوت في التفسير يدرك أنه من أنصار هذا الاتجاه، حيث أسهمت جهوده في ترجيح كفّته بإلحاحه على مفهوم "القصدية" والتنبيه إلى منهجه الموضوعي في مقدّمات

---

(١) - أبو إسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية لبنان ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢٠.

(٢) - أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥، ص ١٩

*ينظر: نصيرة محمد غماري، النظرية التداولية عند الأصوليين، دراسة في تفسير الرازي - عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤، ص ٧٠ وما بعدها.

أعماله المذاعة والمكتوبة.

وقد توصّلت الدراسة الاستقرائية لتفسيره إلى أنه اعتمد على ثلاثة مقومات مكّنته من استنباط المقاصد المبثوثة في الخطاب القرآني أحدّدها فيما يلي: رعاية الأصل التخاطبي باعتباره مسلّمة لغوية، المنهج الموضوعي باعتباره أداة إجرائية، المصطلح القرآني بوصفه ضابطا موجّها للقراءة المقاصدية.

١ـ مراعاة الأصل التخاطبي:

يتجه الخطاب القرآني إلى إرساء قيم أخلاقية إنسانية من خلال تعليله لأحكامه عبر تذييلها بالقصد-الحجة، وهو توجّهٌ نبّه إلى أهميته الإمام الرازي* وأصّله الإمام الشاطبي، حيث أعلنه علما قائما بذاته، ناصّا على أنّ البحث في مقاصد الشارع لا يتأتى إلا بالاتكاء على مسلّمة اللغة؛ ذلك أنها المقدّمة الضرورية (الخلفية) التي تتشكّل فيها وبها الضوابط الخطابية التي تضمن الفهم والإفهام من جهة أنّ البيان القرآني راعى معهود العرب في استعمالهم لألفاظ العربية وأساليبها.

ومن هذا الأصل التخاطبي دلّت "على معَانٍ مطلقة، وهي الدَّلَالَةُ الْأَصْلِيَّةُ. وَالثَّانِي: من جهة كونها ألفاظا وعباراتٍ مُقَيَّدَة دالة على معَانٍ خادمة، وهي الدَّلَالَةُ التَّابِعَةُ؛ فالجهة الأولى: هي الَتي يشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تَنْتهي مقاصد المتكلّمين، ولا تختصّ بأمّة دون أخرى، فإنّه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلا كالقيام، ثم أراد صاحب كلّ لسان الإخبار عن زيد بالقيام، تأتّى له ما أراد من غير كُلفة، ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين -مِمَّنْ ليسوا من أهل اللغة العربيّة- وحكاية كلامهم، ويتأتّى في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها، وهذا لا إشكال فيه. وأما الجهة الثانية: فهي التي يختصّ بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار، فإنّ كلّ خبر يقتضي من هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار، بحسب الخبر والمخبِر والمخبَر عنه وَالْمُخْبَرِ بِهِ، ونفس الإخبار، في الحال والمساق، ونوع الأسلوب: من الإيضاح،

والإخفاء، والإيجاز، والإطناب، وغيرِ ذلك"[١].

انعكس هذا التفكير التداولي للوظيفة الإنجازية للغة عند الأصوليين على تحليل النص القرآني بوصفه خطابا يرشد إلى مقاصده المسكوت عنها، وهي التي بنى عليها شلتوت تفسيره كما سيتم بيانه.

ب- **القراءة التدبرية للقرآن**.

لا مشاحة في أنّ الاستدلال على وجود الخالق يتحقق بواسطة الضابط العقلي بوصفه أداة استدلالية يتم من خلالها إعمال الفكر، والإنسان بهذا النشاط الذهني الدائم والمستمر يعمل على تطويره وتثقيفه، لذا أرشدت الآيات الأولى من سورة البقرة إلى أنّ تميّز النوع الإنساني راجع إلى قابليته للتعلّم والاهتداء.

وعليه، فطريق الإيمان هو العقل الاستدلالي المستند إلى قياس التمثيل باعتباره استدلالا خطابيا يمنح الفعل الكلامي انسجامه ومنطقه لأنه ليس إلا صورة من صور التفكير السليم القائم على الدربة العقلية التي تنمو مقترنة بتعلّم اللغة بشكل طبيعي.

نتيجة هذا التلازم بين الإيمان والتعقّل، ينظر إلى الخطاب القرآني في القراءة التدبّرية في علاقته بسياق تأويله بناء على الكفاءة الاستدلالية ـــ أي الشروط الموضوعية للتلقي وبهذا تخالف القراءة النقدية التي تنطلق من خلفية أيديولوجية سواء أكانت فلسفية ـ فكرية أو عقدية.

وفق هذا المنظور، خلص الشيخ إلى أنّ من ثمار القراءة التدبرية التجديد ونبذ التقليد " ونهاية القول أن الجمود على آراء المتقدمين، وخططهم في العلم والمعرفة، وأسلوبهم في البحث والنظر، جناية على الفطرة البشرية، وسلب لمزية العقل التي امتاز بها الإنسان، وإهدار لحجة الله على عباده، وتمسك بما لا وزن له عند الله. هذا وقد نشأ المسلمون في ظل ما قرره الإسلام، ودعا إليه

(١) – أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية لبنان ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٠٥.

القرآن؛ ففكروا وبحثوا وتعقلوا، وطلبوا البرهان، وأنكروا التقليد، فسادوا وسادت بهم الأمم، ثم لأمر ما انقلبوا على رؤوسهم.. وتولدت في أدمغتهم حمى التقليد، فجهلوا أنفسهم، وجهلوا الكون، وجهلوا الحياة، وتفرقوا في دين الله، وكانوا شيعًا فأبطلوا حجة الله على خلقه، وساروا حجة على دينه وشرعه."[١]

وبناءً عليه، فالقراءة التدبرية بتعبير قطب الريسوني هي" اعتبار الجزئي في فهم الكلي، ولا بدّ أن يحاط هذا التدبّر بالنظر الصافي والإدراك الواعي والتنزّه التام عن الزيغ والهوى، فموافقة الغرض حتى يسوق إلى المقاصد الحقيقية للتنزيل، وعلى رأسها مقصد الاهتداء والاتّعاظ "[٢]. وبذا تضمن القراءة التدبرية للقرآن وظيفته التواصلية التفاعلية لأجل استمرارية مرجعيته وهداياته.

ج- المنهج الموضوعي في التفسير .

عرض "مصطفى مسلم" عدة تعريفات للمنهج الموضوعي في التفسير أوما يسمى بـ" التفسير الموضوعي" منها:... هو جمع الآيات المتفرقة في سورة القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية. وقيل: هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع. وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر. ولعل التعريف الأخير هو الأرجح، لخلوه عن التكرار ولإشارته إلى نوعيه الرئيسيين" [٣]. نستشف من خلال هذه التعريفات مرونة هذا المنهج

---

(١) – محمود شلتوت: منهج القرآن في بناء المجتمع ص ٢٣ www.net alukah.

(٢) – قطب الريسوني: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق الانتظار، مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبّر القرآني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١، ٢٠١٠، ص ٤٩٤.

(٣) – مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٦.

بتجاوزه الإشكال الذي تطرحه بعض دلالات الألفاظ القرآنية كالحقيقة والمجاز والعام والخاص لانشغاله بمقاصد الخطاب؛ غير أنّ حاجته إلى أنواع التفاسير المغايرة كالتفسير الموضعي والإجمالي والبياني تبقى قاعدية.

ولأن الاتجاه المقاصدي يهدف إلى فهم الرسالة الكلية للقرآن، ربط شلتوت المنهج الموضوعي بالغايات المصلحية، إذ اتخذه وسيلة لضبط مقاصد الخطاب القرآني حيث وصف عملية استغلاله التي تعتمد على تحديد موضوعاته برصد العلاقات الداخلية بين الآيات والسور واستخراج الكلمات المحورية التي توفرها القراءة التدبّرية ثم ربطها باحتياجات معاصريه، بتمثل أحداث الماضين المروية في القرآن، ومن ثم عرّفه كالآتي:" أن يعمد المفسّر أوّلا إلى جميع الآيات التي وردت في موضوع واحد ثم يضعها أمامه كمواد يحلّلها ويفقه معانيها، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم ويتبيّن المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع، وبذلك يضع كل شيء موضعه، ولا يكره آية على معنى لا تريده كما لا يغفل عن مزية من مزايا الصوغ الإلهي الحكيم وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى وخصوصا في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية، وإلى أنّ موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية ويتصل بحياتهم من شؤون "[1]." ومراعاة لهذه الحقيقة القرآنية التي تتلخص في واقعية المقاصد القرآنية، خصّ موضوعي "المرأة" و"القتال" بالتتبع في سور القرآن لقطع الطريق على أدعياء الداخل والخارج للطعن في الإسلام لرواجهما " وقد رأيت أن يكون أول موضوع أعرضه الآن على هذه الطريقة بعد "القرآن والمرأة موضوع " القرآن والقتال " ذلك لأن للقتال في هذا الوقت شأنا واقعيا ملأ الدنيا وشغل الناس وله في سائر الأوقات شأن نظري يلوكه

(١) – محمود شلتوت: القرآن والقتال، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١ ص٧ ، ٨.

كثير من أرباب الأديان في الطعن على الإسلام " [١]

وبهذا نقف على أهمية هذا المنهج، في استقصاء الموضوعات واستقرائها ، حيث يغدو القرآن كلّه كلمة واحدة يخضع للقراءة الأفقية والعمودية التي تسبر أغوار معانيه وتحيط بجوانبه، فلا تترك مجالا للبس فما يقوم به المفسّر وفق هذا المنهج " هو تفصيل لما جاء مجملا في تفسيره لسورة البقرة وهي تمكن المفسّر من علاج موضوعات عملية كثيرة ، كلّ موضوع منها قائم بنفسه لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية: القرآن وأصول التشريع، القرآن والعلم ، القرآن والأسرة، القرآن وأدب الاجتماع. ..القرآن والبر وهكذا إلى آخر ما يمكن عرضه من موضوعات القرآن التي تعتبر بحق عمدا قوية في بناء الأمة ونهضتها. وبهذا يطمئن الناس بطريقة عملية واضحة إلى أنّ القرآن ليس بعيدا عن حياتهم، ولا عن نواحي تفكيرهم، ولا عن مشكلاته التي تعرض لهم في كلّ حين يطمئنون إلى أنّ القرآن ليس كتابا روحيا فقط مهمته أن يشرح طرق القربى إلى الله من غير أن يعنى بشيء من وسائل الحياة" [٢].

وقصد تقريب منهجه من الأفهام، شفع وصفه النظري بأنموذج تطبيقي هو ثمرة قراءته التدبرية المكثّفة لسورة البقرة "هذه حبات جانبي العقد الذي ينتظم موضوعات سورة البقرة والتي جاءت آية البر واسطة لها، نسردها على هذا النحو بين يدي تفسيرنا لهذه الآية الكريمة، التي اخترناها نموذجًا للتفسير وقد سلكنا بهذا الصنيع سبيلا غير التي ألفها الناس في التفسير، لنضع بين القارئ الموضوعات التي عرضت لها السورة فيما قبل هذه الآية، والموضوعات التي عرضت لها فيما بعدها، في سلك واحد يجمع بين حبات كل جانب، ويعطي للناظر إليه صورة كاملة لجميع ما

(١) – محمود شلتوت: القرآن والقتال، ص ١٠.

(٢) – المصدر نفسه، ص ٨.

احتوت عليه تلك السورة الكريمة، وتعينه على الرجوع بكل مسألة فيها إلى نوعها وغرضها التي ترتبط فيها مع زميلاتها" (١)

والمثال الذي يشهد على منهجه النصي هو اتخاذه من السياق القرآني العام قانونا يتم التأويل وفقه وهو القانون الذي عول عليه ليرجح نسبة التسمية في سورة آل عمران إلى عمران والد مريم؛ " فسورة البقرة سمّيت بهذا الاسم لقصة عجيبة الشأن تتعلق ببقرة أمر بنو إسرائيل بذبحها..وسورة المائدة سميت بذلك لقصة المائدة التي طلب الحواريون إنزالها من السماء وسورة النساء سميت بذلك لأن أهم ما عرضت له هو الأحكام التي أراد الله بها تنظيم أحوال النساء، وحفظ حقوقهن، وعدم الإضرار بهنّ وهكذا ..وإذا عرف هذا، وهو أساس عام في شأن تسمية السور، فلنرجع إلى تسمية السورة الثالثة من القرآن بسورة آل عمران . ونحن إذا قرأنا السورة من أولها إلى آخرها لا نجد فيه شيئا غريبا أو مهما يتعلق بخصوص موسى وهارون، ولكن أبرز ما فيها وأغرب شئونها هو ما عنيت بتفصيله من شأن عيسى وأمه، وهذا يدعونا إلى موافقة فريق آخر من المفسرين يرى أن آل عمران الذي سميت السورة بآله، وذكر في الآية الأولى، هو عمران المذكور في الآية الثانية وهو أبو مريم لا أبو موسى وهارون، فالسورة تذكر طبقات من اصطفاهم من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران لتبين للقوم من أول الأمر أن اصطفاء الله آل عمران من عيسى وأمه ليس كاصطفائه لغيرهما ممن اصطفى"(٢) .

تقودنا هذه الخطوات المنهجية، إلى خصائص المنهج الموضوعي، فهو نصّي نسقي من حيث الأدوات الإجرائية وسياقي من حيث غاياته ومقاصده أي إصلاح الفرد والمجتمع. ولعلّ هذا المقصد الخطابي الأعلى للقرآن هو ما دفع "الرومي" إلى تصنيف تفسير شلتوت ضمن التفاسير

(١) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة ، ١٩٨٣ ص ٦٦.

(٢) – المصدر نفسه، ٧٧.

التي سلكت" منهج التفسير الاجتماعي" – مقتفيا رأي "الذهبي" عند تصنيفه منهج "محمد عبده" وتلامذته في التفسير ضمن "التفسير الأدبي الاجتماعي"– ذاهبا إلى أنّ اتجاه المفسرين إلى هذا المنهج باعثه الإصلاح الاجتماعي الذي شهدت به الوقائع حين غيّر القرآن بنية الذهن العربي وقوّم تمثلاتهم ".. فانتشرت الفضيلة، وساد الدين، وقويت شوكة المسلمين، واتسعت دولتهم. ففي القرآن علاج للأمراض الاجتماعية، وحلول للمشكلات السياسية والقضايا الأسرية ولهذا اتجهت طائفة من المفسرين يعتنون بهذه الآيات ويتوسعون في تفسيرها طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم فينظر المفسّر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرّف على علّته.. حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا توسّع في شرحه وبيانه ، وحثّ قومه على التزامه فنشأ بهذا من ألوان التفسير وهو الإصلاح الاجتماعي.. والمفسّرون كلهم يتناولون هذه الآيات ويفسّرونها إلا أنّ طائفة منهم تقف عندها فتطيل الوقوف، وتربط بينها وبين ما هو سائد في مجتمعهم مما هو مخالف لها. فتميّز تفسيرها بهذه الميزة واصطبغ بهذه الصبغة. " (١)

تأسيسا على هذه المعطيات، نستنتج تلازم مقوّمات الاتجاه المقاصدي، حيث تأخذ مخرجات القراءة التدبّرية بعضها بأعناقٍ بعض لتزوّد المنهج الموضوعي بمداخل إجرائية غايتها تنظيم مادة القراءة في موضوعات تضبط مقاصدها مؤسّسة في الوقت ذاته معجما لألفاظ القرآن.

د- إجرائية المصطلح القرآني في المنهج الموضوعي.

عرّف مصطفى مسلم "المصطلح القرآني" تعريفا رسميا عن طريق وصف المراحل التي تمرّ بها اللفظة الواردة في القرآن لترقى إلى صفة "مصطلح" وهي:" أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها.

(١) – فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، ص ١٠٥.

وكثير من الكلمات القرآنية المتكررة أصبحت مصطلحات قرآنية؛ فكلمات: الأمة، الصدقة، الجهاد، الكتاب، الذين في قلوبهم مرض، المنافقون، الزكاة، أهل الكتاب، الربا، نجدها تأخذ وجوهًا في الاستعمال والدلالة وقد سبقت الإشارة إلى أن كتب غريب القرآن، وكتب الأشباه والنظائر قد تضمّنت هذا اللون من التفسير، وهي العمدة في مثل هذه الأبحاث" [١] .

بالاستناد إلى هذا التعريف يمكن وصف "منهج الدراسة المصطلحية" بما يأتي: " هو منهج وصفي قوامه الاستقراء وتحليلي للكلمات المجمّعة وفق سياقاتها وتركيبي بصوغ مفهوم جامع للمفردة ترقى به إلى صفة "مصطلح".

ولإخضاع هذا التصور المفهومي إلى الدراسة التطبيقية، أعرض طريقة تناول الإمام للمفردة القرآنية ممثلة في كلمة "البر" مراعاة للمقام.

جاء تعريف شلتوت لكلمة " البر" أكثر وضوحا وتفصيلا من تعريف سابقيه من المفسرين كالبقاعي وابن عاشور، حيث ذهب الأول إلى أنه " الإيمان" نفسه، أي المحرّك الرئيس لأفعال المؤمنين القلبية والجارحية لاتقاء الزلل الذي يحيد بهم عن الصراط المستقيم: "..ولما كان قد بيّن للمتقين كما ذكر قبل ما يخرج عن الصراط المستقيم، وحذروا منه ليجتنبوه عقبه بما يلزمهم ليعملوه .. " ولكن البر من" أي إيمان من، ولعلّه عبّر بذلك إفهاما لأن فاعل ذلك نفسه بر.."[٢] ؛ في حين رأى الثاني بأنه " سعة الإحسان وشده المرضاة والخير الكامل الشامل ولذلك توصف به الأفعال القوية الإحساس، فيقال بر الوالدين وبر الحج " [٣] .

---

(١) - مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص٢٣.

(٢) – برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ت عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣، ج ١ ص ٣٢٣.

(٣) – الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج ٢، ص ١٢٨ .

أما تعريف شلتوت، فيستخلصه من استقرائه لمجموع الآيات المتضمّنة كلمة "البر" في القرآن، لإدراكه أنه يتعيّن على المفسّر قبل أي ضبط للمصطلح، تقديم اللفظ في بيئته، ولذا قدّم بين يدي تفسيره "آية البر" عنوانا يكشف عن منهجه " كلمة البر في القرآن ومدلولها " جاعلا منها موضوعا تتوزّع عناصره في القرآن جملة، فتفسيره للكلمات مشروط بتجاوز تفسيرها الموضعي (الجزئي) إلى التفسير (النصي).

ساقه منهجه الاستقرائي لهذه المفردة إلى إدراك أهميتها في التوجيه إلى مقاصد القرآن، باعتباره مصطلحًا مفتاحيًا ومن ثمّ عرّفه انطلاقا من مقصده الخطابي" وهذه الآية هي أجمع الآيات في تحديد معنى البر من النواحي الواقعية فهي ترشد إلى أن البر لا يرتبط بشيء من المظاهر والصور والأشكال وإنما يرتبط بالحقائق ولب الأمور وروح التكاليف وترشد إلى أن البر أنواع ثلاثة جامعه لكل خير بر في العقيدة وبر في العمل وبر في الخلق"[١] وأكّد هذا المقصد الكلّي وفق أسلوب الإطناب الذي يستدعيه مقام الإصلاح الاجتماعي الواعي بمشكلات المجتمع والعصر "هذه عناصر البر في العقيدة والعمل والخلق وهي دستور خلق متين ترقى به الأمم إلى أوجه العزة والكرامة وتنأى به عن الشرور ومفسدات الأمن والطمأنينة ومنغصات السعادة والهناءة "[٢].

وقبل أن يوسّع القول في هذه الأنواع الثلاثة، صنّفه إلى نوعين: "بر بالنسبة إلى الله و"هو الثواب والرضا والمحبة الإلهية، وقد كان العرب يفهمون معنى البر على هذا الوجه ويدركون أن كل عمل صالح أو نية طيبة أو خلق المرضي شعبة من شعب البر غير أنهم كانوا يخطئون التطبيق أحيانا"[٣] ؛ أما الصنف الثاني فهو بر العبد، وهو الذي تقوم عليه مصلحة العباد والإنسانية جمعاء؛

(١) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ص ٦٨.

(٢) – المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) – المصدر نفسه ص ٦٦.

ذلك أنه يرتبط بمقصد تقويم الفطرة "ومن هذا يتبيّن أن البر بالنسبة للعبد هو جماع الخير الذي يشمل المعاني النفسية والأخلاق الحسنة وما ينشأ عنهما من أعمال صالحه طيبة يتقرب بها العبد إلى ربه"(١) .

وبعد هذا التصنيف، فرّع برّ العبد إلى ثلاثة أقسام:

-**البر العقدي**: ويكون بتحقيق مقاصد أصول الدين، "فالبر في العقيدة.. أمور خمسه: الإيمان بالله في ربوبيته في عبادته في وحدانيته في اعتقاد أنه هو وحده: النافع الضار، الرافع الخافض، المعز المذل الذي لا تعنو الوجوه إلا له ولا تتجه القلوب إلا إليه.. هو الذي يعصمه عن التورط والزلل، والذي يجعل من نفسه عليه رقيبا لا يغيب، ولا يخادع ولا يجهل.." (٢)"

- **البر العملي**: "البر في العمل فله شعب كثيرة ترجع كلها مهما تنوعت إلى بذل النفس والمال ابتغاء مرضاة الله وهناءة خلق الله والعمل هو مدد العقيدة، وفي نفس الوقت هو ثمرتها يحفظها وينميها ويدل عليها..." (٣)

البر الأخلاقي: " أما البّر في الخلق فقد ذكرته الآية، في مبدأين مبدأ القيام بالواجب .. ومبدأ مقاومة الطوارئ والتغلب على عقبات الحياة .."(٤)

يكشف هذا التقسيم، الخاصية التحليلية للمنهج الموضوعي، إذ يحرص المفسّر الموضوعي على استقراء كلّ تفريعات الموضوع وتشعباته بتعالقه الوظيفي مع مفاهيم قرآنية أخرى ليعيد بناءه وفق رؤية متكاملة وغايته العليا هو التوصّل إلى الأبعاد التداولية التأثيرية للموضوع بتحديد مواطن

---

(١) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ، ص ٦٦.

(٢) – المصدر نفسه، ص ٦٦ ، ٦٧.

(٣) – المصدر نفسه، ص ٦٦ ، ٦٧.

(٤) – المصدر نفسه، ص ٧٣.

تداخل الموضـوعات، وبما يحقق تكاملها. حيث أشـار إلى ملازمة هذا المصـطلح لمصـطلح "التقوى" الوارد صفة مخصّصة للأبرار. وقد حدّ المصطلح بما يلي " هي معنى في القلب يرجع في جملته إلى تقدير الذات الإلهية وامتلاء النفس بها ..إذن ليسـت التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهي -كما اشـتهر - ، إنما هي ذلك المعنى القلبي الذي تغنى به العظمة الإلهية، وهي الباعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي المحققة للإحسـان في طاعة الله ورسـوله، فهي المبدأ وهي المنتهى، وهي الأولى وهي الآخرة"[١] .

ينتج عن هذا التعريف أنّ التقوى هي الباعث على الصـدق في الإيمان وفي العمل وفي الأخلاق؛ ومن ثم فالمتقون هم "الذين يعم لكل ما يصلحهم ويصلح الناس ويتجنبون كل ما يضرهم ويضر الناس"[٢]. هذا الترابط بين المصـطلحين مكّنه من تبيّن التناسـب بين سـورتي البقرة وآل عمران تناسب السبب بالنتيجة: "وبعد: فهذه جولة في سورة البقرة، تريك كيف اتخذ الأمر بالتقوى تذييلا لهذه التشريعات، وعليك باستقراء ما تستطيع أن تستقرئه من هذه الناحية لتصل إلى الشق الآخر، وهو شق التذييل في الأوامر بطلب التقوى، فيستقر في نفسك ما قلنا في شأن التقوى من جهة التمهيد والتذييل للأوامر والتشريعات"[٣]

وبناء على هذا الاسـتقراء خلص إلى أنّه يتعلق بروح التكاليف التي تنشـأ من الرقابة الذاتية قي تطبيق أحكام الشريعة كالباعث على مساعدة المحتاج من غير الزكاة.

(١)- محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ص ٢٧٠.

(٢) - المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٣) -المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

المبحث الثاني

مقاصد القرآن العليا في "تفسير شلتوت"

للوقوف على المقاصد العليا للقرآن وقف الشيخ نفسه على استقصائها وتقريبها من المتلقي العام خاصّة، ومن هذه المقاصد دراسته للوقائع الأسلوبية بوصفها بؤر الشّحن العاطفي في الخطاب القرآني رابطا إيّاها بمقاصدها الحجاجية، نوضّحها بثلاثة أمثلة هي كالآتي:

١ - نداءات القرآن ومقاصدها.

خلُص صاحب "مناهج المفسرين" إلى انفراد شلتوت بدراسته لنداءات القرآن دراسة إحصائية مقاصدية ، إذ لم يجد من سبقه إليها "لعل أول مفسر معاصر يفرد نداءات القرآن الكريم بالتفسير والشرح، وفرزها وحدها، هو شلتوت، فتجد في السور التي تعرض لها شلتوت بالتفسير، يبين في المقدمة عدد النداءات التي وردت فيها، وبخاصة ما كان متعلقًا بنداءات الإيمان التي تخاطب المؤمنين بـ{يا أيها الذين آمنوا}، ويربط بينهما، باحثًا عن أسرار ورودها وأهميتها، ورغم تعرضه للنداءات التي تكون بـ{يا أيها الناس}، إلى أن تركيزه اتضح أكثر في نداءات الإيمان "[١] .وما يعلّل هذا الانفراد والسبق في رأيي هو منهجه الموضوعي القائم على الاستقصاء والتصنيف.

- نداء المتلقي العام

تقتضي نداءات القرآن بوصفه خطابا تفاعليا جاذبا، انفتاحه على الآخر في عمومه دون إقصاء أو تحيّز ؛ إذ أبانت دراسة الإمام **للمنادى التكليفي** رؤيته التقريبية البعيدة عن التعصّب والتمييز العرقي أو العقدي أو الجنسي في قوله: "نادى الناس جميعا مرة بوصف الإنسانية العام ، ومرة بوصف البنوة للأب الأول ، والذي نلاحظه هنا أن النداء بوصف الإنسانية كان أكثره فيما يختص بالأصول العامة

(١) - منيع عبد الحليم محمود: مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ٢٠٠٠، ص٣٤٧.

للدين ، من الإيمان بالله والوحي والرسالة والإيمان باليوم الآخر وما يرجع على شيئين من هذين "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ البقرة/٢١ .. وأما نداؤهم بوصف البنوّة لآدم، فقد وجّه إليهم تحذيرا من مكايد الشيطان التي وقع فيها أبوهم من قبل :(يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) الأعراف/ ٢٧ .."[١] ؛ فالإيمان بأصول الدين عامل موّحد للنوع الإنساني لارتباطه بالفطرة (السليمة)التي جبل عليها الإنسان بوصفه عبدا محتاجا لخالقه. وتذكير الله الناس بهذه الحقائق بواسطة نداءاته العامة مقصده الأعلى، وصل وشائج الرحم الواحدة وإذابة كل أنواع التمييز الطارئة الناجمة عن الصور النمطية التي شكّلها الذهن المنحرف ورسّخها بالتقادم، مما أنتج تفكيرا معوجا (شيطانيا)قائما على وهم التفوّق العرقي والإثني وهو ما يعلّل ورود هذه " النداءات عقب قصة آدم وإبليس" [٢]

وعلى هذا الأساس الإنساني، يمكننا أن نفهم إلحاحه على التذكير بالوظيفة الحجاجية للنداء بصفة البنوّة لآدم تحت عنوان فرعي "سر النداء بهذا الوصف ودلالاته"، يقول " .. ويهمني أولا لفت الأنظار إلى **دلالة** هذه النداءات، فهي ترجع بالناس جميعا إلى رحم واحدة ومن شأن اتحاد الأصل تقارب الفروع وتعاطفها، فهي تغرس في نفوس الناس أنهم مهما تنوعت أجناسهم واختلفت لغاتهم وتباينت أقاليمهم أبناء رجل واحد.. وهذا أول ما يضعه القرآن من سبل الوحدة الإنسانية البشرية التي ترجع بالناس إلى منبع واحد، وتضعهم جميعا في مستوى واحد دون تفاضل بينهم إلا بما قد يكون منهم من تفاوت في الفضل والعمل "[٣]

إنّ مفهوم "الدلالات " الموظّف في هذا السياق، ينبغي أن يؤوّل إلى مصطلح " المقاصد"،

---

(١) – محمود شلتوت: تفسير القرآن، ص ٩٦،٩٧.

(٢) – المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

(٣) – المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

ذلك أنّنا نلمس في تأكيد الشيخ على النداء المخصّص بهذا الوصف العام استدلالا تترتب عليه النتيجة الآتية:

- إنّ المحتد الواحد يبني صورة إيجابية عن الوحدة الإنسانية للبشر مما يقتضي القضاء على التفرقة العنصرية على أساس العرق أو الجنس.

- **نداء المتلقي الخاص** (باعتبار خصوصية المعتقد):

نبّه الشيخ إجرائيا إلى الوظائف الحجاجية لأسلوب النداء عند إحصائه لنداء المخاطب المخصص بواسطة النسبة إلى الطائفة يقول: " ونادى طوائف أهل الكتاب، ناداهم بهذا العنوان تبكيتا لهم على ما كانوا يرتكبون من أفانين التضليل وأنواع التشكيك التي كانوا يحاربون بها الدعوة المحمدية .. وقد يناديهم بهذا الوصف إغراء لهم، لتلبية الحق الذي يدعون إليه، والذي لم يكن شيئا جديدا عليهم وكما نادى ﷺ طائفة اليهود والنصارى بوصف أهل الكتاب، نادى طائفة الذين آمنوا بمحمد -ﷺ- بوصف المؤمنين، .. ناداهم بهذا الوصف الذي تركّز في نفوسهم، تنبيها إلى أنهم بحكم اشتراكهم في ذلك الإيمان مسئولون عن هذه التكاليف التي هي من أحكام الإيمان.. "(١)

وصل شلتوت تخصيص المنادى بالوصف بأبعاده الحجاجية، حيث قادته دراسته تصنيف المتلقين للقرآن إلى ثلاث: " طائفة المتقين الذين سلمت قلوبهم من مفسدات الإدراك والعلم والنظر، وطائفه الكافرين الذين سدّت عليهم منافذ الخير وسبل الهداية وأعلنوا الكفر والعناد كثيرا... ما تحدث القرآن عنهما في مكيّه ومدنيّه، فإن الدعوة لم تخل مرحلة من مراحلها عن مؤمن بها ومصدق لها وعن كافر بها وجاحد لآياتها .. الطائفة الثالثة المنافقون وقد رأينا القرآن الكريم يتحدث في المدني خاصة عن طائفة ثالثة أطلق عليها اسم المنافقين وهم الذين فسد باطنهم

(١) - محمود شلتوت: تفسير القرآن ، ٩٨ ، ٩٩.

كالكافرين ولكنهم ظهروا بين المسلمين كالمسلمين قالوا كلمة التوحيد كما يقولون وصلوا كما يصلون وظنوا أنهم يخادعون الله ورسوله والمؤمنين ولم تظهر هذه الطائفة إلا في المدينة حيث تكوّن المسلمون وقويت شوكتهم وأخافوا غيرهم فضعفت الطائفة عن المجاهرة بالكفر والعناد فكتموه في نفوسهم .. وما ابتلى المسلمون في أي زمان ومكان بشر من هذه الطائفة تدبّر المكائد وتروج الأكاذيب وتزعزع المؤمنين وتفسد روابط المحبين وتنفث سموم الشر والفتن وقد اهتم القرآن بالحديث عنهم والتحذير منهم وحتى لا نكاد نجد سوره من سور القرآن المدنية تخلو من ذكرهم ولفت الأنظار إلى أوصافهم"[١] .

إنّ المقاصد العليا - حسب هذا الطرح- لها وظيفة حجاجية؛ فتخصيص نداء اليهود والنصارى بأهل الكتاب هو التبكيت والإغراء في حين خصّ نداء المسلمين بوصف الإيمان لأنهم يؤمنون بكل الكتب تنبيها إلى وحدة الدين واختلاف الشرائع وتذكيرهم المتواصل باعتدال دينهم وتنبيههم إلى وسطيته وعالميته، باعثه هو رؤيته التقريبية التي تسمح للمسلم بالانفتاح على الآخر المختلف بصفته أخا له في الإنسانية التي تأمره بها فطرته. يقول" وهكذا نجد القرآن قد عالج بالنداءات الإلهية الناس على وجه عام، وعالج الطوائف على وجه خاص، وكانت الأوصاف التي تقع بها هذه النداءات من شأنها أن تدفع المخاطبين إلى امتثال ما يخاطبون به، وهو أسلوب قوي من أساليب الإرشاد واستنهاض الهمم ، أسلوب طبيعي تأنس إليه النفوس ، وتملك به القلوب"[٢].

وتأسيسا عليه، يأتي القصد العام من النداءات الإلهية الخاصة الإرشاد والتوجيه لتقويم الفطرة المنحرفة عند أهل الكتاب والتحذير من مسوّغات انحرافها بالنسبة للمؤمنين.

ومن هذا التصنيف، نستخلص من تفسير الشيخ ثلاثة حالات ذهنية (العقلية) أمام هداية القرآن

---

(١) - محمود شلتوت: تفسير القرآن، ص ٦٠.

(٢) - المصدر نفسه، ص ١٠١.

بحسب تلقيهم للقرآن نجملها فيما يلي:

١ – الذهن السليم المتحرر من العرف والتقليد وتسلّط المادة والعصبية الفاسدة، المذعن للحق لقبول الدعوة وتمثله طائفة المتقين باتباعهم الحق أينما كان. وتجدر الإشارة ههنا إلى أنّ وصف القرآن هذه الفئة بالتقوى يراعي الطبيعة الإنسانية القابلة للزلل والضعف أمام المغريات لكن مع الإسراع إلى التوبة، فـ " القرآن لم يجعل الاتصاف بهذه الأوصاف عنوانا على العصمة من الذنوب أو المخالفة في من ألوانها .. فقد جعل مما تتناوله كلمة المتقين "والذين إذا فعلوا فاحشه أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم " [١] وهنا تظهر واقعية الإسلام ووسطيته، فالكمال ليس بشريا .

٢ – الذهن المنحرف بسبب عناده وكبره، لذا فهو غير قابل للحجاج وتمثله طائفة الكافرين التي تأثّرت بالتمثلات الجاهزة والمتوارثة على السلوك فيصبح متعصبا لموقفه لا يقبل الحجاج.

٣– الذهن المخادع الذي تتحكم فيه المادة الطاغية والمصلحة الشخصية، وتمثله طائفة المنافقين. ويتميز أصحاب هذا الذهن بالمداهنة فيصعب الحكم عليهم عقديا لاتفاق سلوكهم مع سلوك الطائفة الأولى واتفاقه مع ذهن الطائفة الثانية، لذا كانوا أخطر من الكفار في رأي شلتوت لإخفائهم عداءهم وتغليبه المصلحة الشخصية.

استنادا إلى الحالات الذهنية المسجّلة في نداءات القرآن، وإلحاح شلتوت عليها، نتبيّن أنّه يوافق أصحاب الرأي القائل أن الإسلام دين الفطرة في تفسيرهم قوله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللهِ﴾ من الآية ٣٠ من سورة الروم كابن عطية الذي ذهب إلى أنّ " المُراد بِالفِطرَة قَبُولُهم للحَقِّ وتَمَكُّنهم مِن إدْراكِه .. والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخِلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي

(١) – محمود شلتوت : تفسير القرآن ، ص ٥٩.

معدَّة ومهيّأة لأن يميّز بها مصنوعات الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به" "[١] والبقاعي في تفسيره "..وهي الخِلْقَةُ الأولى التِي خلق عليها البشر، والطَّبْعُ الأَوَّلُ، وقال الغزالي في آخر كتاب العلم من الإحياء ..وهي سهولة الانقياد وكَرَمُ الخُلُقِ الذي هو في الصُّورة فِطْرَةُ الإسلام.. ولما كان الميل مع الدَّلِيل كيفما مالَ أمْرًا لا يُكْتَنَهُ قَدْرُهُ ولا يُنال إلّا بتوفيق من الله، أشار إلى عظمته بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي الأمر العظيم وهو الاهْتزازُ للدَّلِيل واتِّباع ما يشير إلَيْه ويحثُّ عليه ﴿الدِّينُ القَيِّمُ﴾ الذي لا عِوَجَ فِيهِ ﴿ولَكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ﴾ قد تَدَرَّبُوا في اتِّباع الأهوية لِما تقدّم من الشُّبَه فصاروا بحيث ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا علم لهم أصلا حتّى يُمَيِّزُوا الحقّ من الباطل لما غلب عليهم من الجفاء"[٢] ويرى ابن عاشور أنه أصل الخِلقة العقلية التي جُبل عليها عقل النوع الإنساني التي لم تتعرّض للانحراف: " الفطرة الخِلقة ، أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، ففطرة الإنسان هي ما فطر- أي خلق – عليه الإنسان ظاهرا وباطنا، أي جسدا وعقلا ،..و استنتاج المسبّبات من أسبابها والنتائج من مقدّماتها فطرة عقلية .. فوصف الإسلام بأنه الفطرة معناه أنه فطرة عقلية لأن الإسلام عقائد وتشريعات، وكلّها أمور عقلية أو جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به"[٣] وهي بهذا الدين " الذي هو فطرة الله لأن التوحيد هو الفطرة، والإشراك تبديل للفطرة"[٤] ولا يخرج تمثل "شلتوت" عن هذا التصوّر، حيث استمدّ تعريفه من هدي القرآن من

(١) – ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط٢، ٢٠٠٧ ج ٢١، ص ٢٤.

(٢) – البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، ص

(٣) – الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، ت محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط٢، ٢٠٠١ ص ٢٦١ ، ٢٦٢.

(٤) - الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ٨٩، ٩٠ .

خلال التأكيد على وصل النتائج بالمقدّمات، فالإذعان إلى الحق لا يتحقّق لكونه حقا في ذاته بل نتيجة الاستعداد الفطري، فـ" الانتفاع بالحق لا يكفي فيه مجرد أنه حق وأنّه مبرّأ من العيب والشك، بل لابد في الانتفاع به من استعداد ظاهر يتقبل به ذلك الحق، ويندفع الناس معه إلى طريق النظر فيه، وبذلك كان الناس أمام القرآن وما أنزل الله فيه من هداية طوائف "[١] . وبهذا يكون أساس التصنيف القرآني هو مدى استجابة الذهن الفطري السليم للحق وإذعانه للحجة بغض النظر عن التوقيت.

ودواعي انحراف الفطرة هو "اختلاطها بالمدركات الباطلة المتأصّلة في النفوس بسبب عوارض عرضت للبشر مثل العوائد الفاسدة المألوفة ودعوة أهل الضلالات إليها.." [٢] من مظاهرها جحود نعم الله وفتنة المال، واتباع الهوى والشهوات والتقليد الأعمى للموروث بتعطيل العقل.

نتيجة هذا التواشج بين الإسلام والفطرة، خاطب القرآن الطوائف الثلاثة تحت مسمى جامع "الإنسانية" لتحقيق العبودية الصحيحة لله بالرجوع إلى أصل الفطرة بإعمال" العقل والنظر والتدبر، رجاء التخلّص مما يفسد عليهم إنسانيتهم التي تقتضي باعتناق الحق والعمل بمقتضاه، والتمتع بلذته والاهتداء بهديه ونوره أجملت في هذا النداء دعوة القرآن التي هي عناصر الحق وأصول الدين عند الله وهي: ١- التوجه إلى الله وحده بالعبادة،٢- الإيمان برسالة محمد -ﷺ- ٣- الإيمان بدار البعث والجزاء"[٣] .

لهذه الاعتبارات جاءت الرسالة المحمدية مجدّدة أصول الدين، ولذا تحدّد هذا المقصد

(١) - محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص ٥٥.

(٢) - المصدر نفسه، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٣) - المصدر نفسه، ص ٦٠.

بشكل محوري ابتداء من سورة البقرة إلى سورة الناس.

٢- القصة القرآنية.

تغيّا شلتوت من انتقاده منهج المؤوّلين للقصص تصفية التفسير من الشوائب الصارفة عن التوصل إلى المقاصد الكلية باشتغالهم بالتفاصيل التي يغلب عليها التأويل المتعسّف ليتبيّنوا مقاصده دون تفريط التنويريين بنفي حدوثها التاريخي وعدّها مجرد استراتيجيات خطابية انتهت وظيفتها بانتشار الإسلام، أو إفراط المسرفين كالبقاعي "في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصة القرآنية واعتبار كل ما ورد متصلا بالقصة بيانا وتفصيلا لما جاء في القرآن، كما اتخذ الفقهاء الأحاديث المتصلة بآيات التشريع بيانا وتفصيلا أو تكميلا لما ورد في الآيات من أحكام. وكما اعتبر الفقهاء الأحاديث مصدرا ثانيا للتشريع اعتبر هؤلاء الروايات الواردة في القصة مصدرًا ثانيًا للقصة بعد القرآن الكريم" [١] وفي تفسيره لقصة الطوفان أرجع موقفه الرافض للجوء إلى الإسرائيليات لملأ فراغات القصص القرآني إلى منهجه المقاصدي، حيث ليس من مهمة المفسّر الاستقصاء التاريخي، بل عليه أن يوجّه عنايته لاستخلاص مقاصدها التواصلية " والذي نراه أن المسألة من المعارف البشرية التي تركها الوحي لبحث الإنسان، لا تفسيرا للقرآن، وليس من مهمة القرآن أن يحدد الأوضاع، ولا أن يعيّن الوقائع، وإنما مهمته الإرشاد إلى ما تدل عليه القصة من جهات العظة وأنواع العبرة"[٢].

ولئن أشاد "شلتوت" برأي الرازي فيها لوجاهة تعليله، مستشهدا به ".. ويعجبني قول الإمام الرازي في هذا المقام: "والذي عندي في أمثال هذه الحكايات أنها قليلة الفائدة، وأنها في أكثر الأمر متعارضة مضطربة، فالأولى طرحها والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن، وتفويض سائر التفاصيل

(١) - محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص ٤٢.

(٢) - المصدر نفسه، ص ٧٨.

إلى عالم الغيب" وأرجو أن ننهج في تفسير كتاب الله هذا المنهج الدقيق الذي يحفظ علينا وعلى الناس إيماننا بجلال معاني القرآن وقصصه الحق الذي لا ريب فيه" [١]؛ فإنه خالفه منهجيا بإعراضه عن سوقها واكتفائه بالوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم بـ" الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه، دون تزيد عليه بما لم يرد فيه "[٢] .وهو بهذا المسلك يعدّ مبدعا، إذ طابق تنظيره ممارسته خلافا للرازي الذي ملأ تفسيره بها فشابه تفسيره تفسير البقاعي في هذا الباب.

٣- فواتح السور.

قد تحكم القراءة السطحية للحروف المقطعة لصالح الاتجاه الظاهري، غير أنّ القراءة الوظيفية تبطل هذا الحكم. وقد حاجج "شلتوت" لصالح وجاهة رأي الأصوليين كالإمامين الرازي والزركشي – وإن كان معجمه الموظف لتعريفها أقرب إلى المصطلح اللساني الغربي – حيث ربطها بمقتضى حال المتلقي المعاند الرافض للحجاج حال الجهر بالدعوة إلى الدين الجديد، وقد نصّ على هذا الموقف في مواضع عديدة من تفسيره، كقوله معلّلا ابتداء سورة البقرة بالأحرف المقطعة:" إنّ وصف القرآن بما وصف به أنه هدى وتبيان ونحو ذلك لا يبطله أن تجيئ في أوائل بعض سوره مثل هذه الحروف التي لم يتعلّق بها تكليف أو إرشاد ، وأنه مادام واضحا في جملته وفيما قصد به، فلا بأس من أن يرد فيه بعض ما استأثر الله بعلمه، تنبيها على القدرة التامة في جانب الربوبية، والقصور في جانب العبودية، وتلك سنة الله في خلقه وتكاليفه .. وعلى هذا فنحن نؤمن بأنّ في القرآن سرا لا يدركه البشر، هو معاني هذه الأحرف التي جاءت في فواتح السور، ولكن لا ينبغي أن نتوسّع فنطرد هذا المبدأ فيما وضُحت دلالته العربية، وثبت عن الرسول–ﷺ– بيانه،

(١) – محمود شلتوت : إلى القرآن الكريم، ص ١١٢.

(٢) – المصدر نفسه، ص ٤٤.

فنزعم كما زعم أناس من قبل أنّ للقرآن ظاهرا يدلّ عليه ويفهمه العامة، ويكلفون به، وباطنا لا يفهمه إلا الخواص من عباد الله وهم مكلفون به، فتلك نزعة فرقت المسلمين، وضرب بعضهم بها رقاب بعض"[١]

ولئن جاءت هذه الفواتح غير مفهومة الدلالة فإنها لا تندرج تحت المتشابه لأنها أصوات لا دلالة وضعية لها، فإذا كان المتشابه يحتمل التأويل فهذه الحروف لا تقبله؛ " ذلك أنّ المتشابه ورد في قضايا ذات محمول وموضوع وإثبات ونفي، ومفردات تلك القضايا لها دلالات حقيقية معروفة لأرباب اللغة، وقد تستعمل في معان مجازية تصرف إليها بالقرائن، ولا كذلك فواتح السور التي هي أحرف مقطعة، ليست قضايا ذات موضوع ومحمول، وليست مفردات ذات معان مفيدة على نحو استوى مثلا، وقد جاءت هذه القضايا واعتقد الجميع ثبوت محمولها لموضوعها، على وجه يقضي به الإيمان، ولا كذلك أيضا فواتح السور التي نتحدث عنها"[٢] ومردّ هذا الاختلاف في رأي الشيخ إلى الوظيفة التنبيهية المسندة إلى هذه الفواتح مثلها في ذلك مثل أحرف النداء في جلب انتباه المتلقي استعدادا للإنصات للكلام المقصود؛ ومن ثم فهي ليست مقصودة لذاتها وإنما هي أداة لتحقيق المقصود. ولهذا حثّ مفسري القرآن إلى صرف الاهتمام عن معانيها الخفية والاكتفاء بمعرفة وظيفتها التداولية " التنبيهية" أي شدّ انتباه السامع إلى المتكلّم ليعيروه أسماعهم مؤكّدا رؤيته الأصولية في موضع آخر من التفسير "هذا هو الأثر الذي يقترن بسماع هذه الحروف في فواتح السور أما معناها فلا أستطيع أن أقول فيه سوى هذه الكلمة المأثورة عن إيمان سلف صالح يؤمن حق الإيمان بعظمه الله وكتاب الله "الله أعلم بمراده" [٣]

(١) – محمود شلتوت: إلى القرآن الكريم ، ص ٤٩-٥٠

(٢) – المصدر نفسه، ص ٥٢

(٣) – المصدر نفسه، ص ٥٥

لعلّه من المفيد من باب التناسل الفكري- الذي نستعيره من الإمام - ههنا إعادة صياغة حجج الإمام بالاتكاء على مفاهيم اللسانيات التداولية التي جاء في مقدّمة هذا البحث أنّها تتوافق مع المنهج الأصولي في تحليل الخطاب الديني.

يرى شلتوت أن غياب قصد الإفهام في الفعل التخاطبي لا يجعله لاغيا مطلقا، إذ قد يكون قصد المتكلم هو إحداث تأثير ما في المخاطب دون قصد تبليغه محتوى معرفي معين؛ مما يجعل هذه الأفعال لا تحتوى على مضمون قضوي، ومن ثمّ عدم اشتراط المضمون القضوي لإنجاز الفعل المتضمّن في القول فبعض الملفوظات (الأصوات) تعبّر عن قصد المتكلم دون أن يكون لها فعل قضوي، من ذلك أسماء الأفعال المرتجلة.

وبناء عليه فالمعنى الذي يسند إليها هو معنى تداولي؛ فبينما يربط المعنى الوصفي ـــ المرجعي الكلمات بالواقع (الوصفي والتاريخي) فإنّ المعنى التداولي لا يلحق الكلمات بموضوع القول، بل بما ننجزه بواسطتها وخاصة بالفعل المتضمّن في القول الذي لا يمكن إنجازه إلاّ بتلفظها[1] ؛ ومن ثمّة، فلهذه الفواتح بعد حجاجي بإرشادها المتلقي إلى المقصود الأصلي من الفعل التخاطبي لأهميته، وحجته في ذلك أنها وردت ممهّدة للكتاب المعجز الذي يتم به تحدي البلغاء وما هاته الأحرف إلا وجه من وجوه الإعجاز البياني ".. اقرأ ذلك إن شئت تجد هذه السور كلّها تتحدث عن القرآن وتنزيل القرآن أو إنزاله، وهو الكتاب الذي كان موضع الأخذ والرد فيما بينهم وبين الرسول .. فبدأت السورة بهذا الأسلوب تأثيرا في قلوبهم، ولفتا لأنظارهم، ولا يخفى أنّ المفاجأة بالغريب الذي لم يؤلف، لها في إرهاف الأسماع وتنبيه الأذهان ما لا يحتاج إلى بيان. ومن شاء

(1) –François Recanati : Qu'est ce qu'un acte locutionnaire ? Dans Les actes de discours communications 32,1980 SEUIL P111

ولمزيد من التفصيل انظر كتاب الباحثة النظرية التداولية عند الأصوليين دار الكتاب الحديث ٢٠١٤ ص

فليقرأ النصف الأول في كل من السورتين ليرى كيف انصرفت كل منهما فيه إلى الحجاج عن الحق والمجادلة عن دعوة القرآن على نحو شبيه بما كان من شأن القرآن مع المشركين"[1]

وتأسيسا عليه، نخلص إلى أنّ الاتجاه المقاصدي لا يقف عند الوظيفة الإخبارية والتمثيلية للغة وإنما يتعداها إلى الوظيفة التأثيرية – الحجاجية لتحقيق الفائدة وهو ما أدركه شلتوت بنزعته بمنهجه.

(١) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، ص ٥٤.

المبحث الثالث

مقاصد الاتجاه المقاصدي في" تفسير شلتوت"

من خلال ما تقدّم، يتضّح أنّ مقصد شلتوت الرئيس من تبني الاتجاه المقاصدي تمكين عموم المتلقين من التفاعل مع النص القرآني بعقولهم لا بأسماعهم؛ فهو" أول من اقترح على الإذاعة أحاديث الدين الصباحية، ورأى القائمون على الإذاعة وجاهة الاقتراح فعهدوا إليه بالأمر فترة طويلة من الزمن، وكان صوته يجلجل كل صباح متسما بالحيوية القوية، والأسلوب الطيب، والفكرة الجديرة بأن تسمع. واشترك مع غيره من علماء الدين النابهين فى التقديم للقرآن الكريم حينما يتلى في الإذاعة وكان هذا تجديدا أيضا في برامج الإذاعة وكان هذا التقديم متتابعا متتاليا يقدم الربع من القرآن الكريم، ثم يقرأ القارئ فيكون المستمع على علم بمضمون ما يسمع من التلاوة."[١]؛ ولذا كان الشيخ حريصا على تذكير القارئ بملابسات تفسيره للقرآن التي طبعت أسلوبه ومنهجيته، ومن هذا القبيل تقديمه لكتاب القرآن والقتال:" وبعد، فهذا بحث عن القتال في نظر القرآن ، ألقيته في محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية من سنين في سلسلة من محاضرات، وأردت نشره على الناس مرة أخرى في رسالة مطبوعة ليتمكّنوا من قراءته فينتفع به من يحتاج إليه، ويبدي رأيه فيه من يرى ذلك" [٢]. إنّ كلام الله بوصفه "حديثا" متجدّدا من حيث تلقيه، لن تتحقّق قوّته الإنجازية إلاّ إذا أيقن مخاطبه أنّ المقاصد التشريعية هي من قبيل الوسائل للاهتداء إلى الصراط المستقيم (الفطرة) بوصفه غاية كلّ المقاصد ومنتهاها.

وأهمّ المقاصد التي ترتّبت عن انتهاج الشيخ "شلتوت" الاتجاه المقاصدي ما يلي:

---

(١) – منيع عبد الحليم محمود: مناهج المفسرين ، ص ٣٤٧.

(٢) – محمود شلتوت: القرآن والقتال، ص ٣.

١-الدعوة إلى الوسطية ونبذ التطرّف .

الدعوة إلى التسامح لا تعني تنازل الإنسان عن معتقداته لأجل إرضاء الآخر المختلف، وإنما هي دعوة للإعراض عن الاختلافات المذهبية التي شكّلت في التفاسير السابقة ميدانا خصبا للمماحكات العقلية والشواهد النقلية أو الترجيحات اللغوية الصارفة عن المقاصد العليا والمشتّتة لانتباه المتلقي غير المتخصّص.

وما دام قوام الوسطية الاعتدال أي "التوسّط بين طرفي الإفراط والتفريط"[١] ، حيث يتحقق مفهوم العدل، فإنّ نبذ التطرف والتجاذبات الإيديولوجية هو طريق التقريب بين المذاهب والنحل؛ وتصنيف القرآن المتلقي التكليفي إلى طوائف إنما يرتبط بعلاقة الإنسان بالفطرة التي جبل عليها، ومن ثمة فالمعيار الوحيد الذي يقاس به الإنسان في مجتمعه هو درجة قربه من الفطرة.

انطلاقا من هذا المعيار، يتّم قياس إيجابية الفرد بمدى تحرّره من التعصب، وتمثّله لمفهوم الأخوّة الإنسانية على المستوى الاجتماعي، إذ " أول ما يطالعنا في تكوين الفرد على الوجه الذي يكوّن به لبنات قويّة في بناء المجتمع المنشود، أمران لا بدّ من توافرهما في الفرد: أولهما: تحديد علاقته بهذه الحياة الدنيا، حتى يعرف واجبه فيها فيحققه. ثانيهما: إحياء الشعور في نفسه بالوحدة الإيمانية، والوحدة الوطنية الخاصة، والوحدة الإنسانية العامة. وبذلك يعرف حق مجتمعه الديني والوطني والإنساني؛ فيقوم به على الوجه الذي تقتضيه شخصيته في بناء هذه المجتمعات"[٢]

ولا يخفى ما في هذا المقصد من دعوة إلى الاتصاف بقيم المواطنة الحقّة التي لا تتمّ إلا باحترام كرامة الإنسان كيفما كانت عقيدته.

---

(١) – محمود شلتوت : إلى القرآن الكريم ص ٢٦٨.

(٢) محمود شلتوت: منهج القرآن في بناء المجتمع ص ٧ www.net alukah.

٢- الإرشاد إلى طرق الدعوة.

بالتزام المنهج العلمي في التفكير وتنبيه الدعاة إلى الصعوبات التي يتلقوها في سبيل تقويم الفطرة لتوطين أنفسهم على مواجهة الآخر مواجهة عالمة، ولهذا بيّن الله الطوائف الثلاث لنبيّه بوصفه إمام الدعاة " وهو شأن لا بد من معرفته لكل داع إلى الحق. لا بدّ أن يعرف المعاني التي تقابل بها دعوته فيتخذ لها أهبته، ويعامل كلّ طائفة بما يناسب نزعتها فيطمئن إلى المتقين الذين سلمت قلوبهم ويريح نفسه من الذين أعلنوا خصومة الحق ويحترس من المنافقين فلا يولي وجهه شطرهم، ولا يغتر بظواهرهم. ولا ينخدع بأكاذيبهم، وبذلك تستقيم دعوته، ويستقر سلطانه، وتصل أمته إلى أقصى درجات الخير والفلاح"[١]

٣- الدعوة إلى التجديد.

فتقرير الإيمان بأصول الدين -وهي قضيه العالم الكبرى- إيمانا جازما يكون عن طريق الاستدلال وطلب العلم وفق ما عرض في مبحث النداءات القرآنية " ليكون الإيمان عن حجة وبرهان لا خضوعا لقهر، ولا استسلاما لتقليد..؛ وبذلك يخلع الإنسان نفسه من طائفة الشاكين المكذبين ، الذين اتضحت لهم حجج الحق، وران العناد على قلوبهم، فلم ينتفعوا بالآيات، وحقّت عليهم كلمة الله وكانوا من الخاسرين " [٢]"، وهو المقصد الذي تقرّره السور المكية في القانون القرآني فسورة "هود "على سبيل التمثيل "شأنها كسائر المكي، تقرر: " أصول الدين، وإقامة الأدلة عليها، ورد الشّبه التي كان يثيرها المعارضون حول الدعوة وصاحبها عليه السلام. والمتدبر للسورة يرى أنها أولا: قررت عناصر الدعوة الإلهية وهي: التوحيد والرسالة والبعث عن طريق الحجج العقلية مع الموازنة بين النفوس المستعدة للإيمان، والنفوس النافرة منه وقد عرضت

(١) - محمود شلتوت : تفسير القرآن الكريم ، ص ٦٠.

(٢) - المصدر نفسه، ص ٧٠.

ذلك في أربع وعشرين آية يختم بها الربع الأول منها" [١] ولا يخفى أنّ الدعوة إلى أصول الدين تعدّ عاملا موّحدا للنوع الإنساني لارتباطه بالفطرة (السليمة).

٤-تحذير عموم المسلمين من الركون إلى أعداء الدين وموالاتهم.

ذلك أن استقراء الوقائع يثبت سعي ذوو الفطرة المنحرفة على مرّ التاريخ إلى إبطال الحق وإعلائه " وهذه حقيقة يجب أن تكون ماثلة أمام أعين المؤمنين في كل زمان ومكان، فإن الكفر عدوّ الإيمان، ولا يزال العدو يحارب عدوّه، ويتربص به الدوائر حتى يوقعه ويهزمه لو استطاع..ولو أنا معشر المسلمين عملنا بإرشاد الله لنا ، وبما تضمنه كتابه الحكيم من هداية وتعليم، لما كان هذا شأننا معهم، ولما كنا أطعناهم فمكناهم بهذه الطاعة من أعناقنا، وأعناهم على أنفسنا "[٢]

٥- إذاعة الوعي الديني عبر تعريف العامة بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم العام ونشرها.

وأهم مقصد هو إصلاح الفرد والمجتمع بالدعوة إلى ما اصطلح عليه "الروحية المهذبة" عبر تخليص الفرد من فكرتي التبتل الديني، والطغيان المالي "فهذان فرضان، كلاهما مانع من تكوين المجتمع الفاضل، فعلى المصلحين، والمقومين المرشدين، بذل الجهود في تطهير النفوس من فكرتي التبتل الديني، والطغيان المالي، وأن يأخذوا بها إلى الحد الوسط الذي رسمه القرآن، ودعا إليه، وجعله منهج الحياة الطيبة، وسبيلًا للمجتمع الفاضل"[٣] وبهذا التحذير القرآني، فالمتقي عند شلتوت هو من يصارع من أجل التغلّب على الغرور " الشيطاني" أصل كلّ الشرور.

---

(١) – محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم ، ص ٧٢.

(٢) – المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٣) – محمود شلتوت:منهج القرآن في بناء المجتمع ص ١٢ .alukah www.net

الخاتمـــة

في ختام هذا البحث، يمكننا إجمال نتائجه في النقاط الآتية:

- إنّ ربط شلتوت مقاصد القرآن بالمنهج الموضوعي في التفسير بوصفه علما ضابطا للفهم، هو سعي منه إلى تقريب الخطاب القرآني من العامة لتأهيلهم للقراءة المتدبرة المستحضرة لمراداته. وبهذا يكون الاتجاه المقاصدي في التفسير موجّه في المقام الأول إلى المؤسسة الاجتماعية أي تحقيق الفائدة العملية " بتقويم اعوجاج الفرد والمجتمع " بتنزيل الهدايات القرآنية المستنبطة من مقاصده "على واقع الأمة والإنسانية، ولا يخفى ما في هذا الاتجاه من دعوة المتلقين إلى اهتمامهم بكتاب الله تفسيرا وتدبرا.

- التفسير الموضوعي باعتباره دراسة قرآنية ينطلق من التفسير التحليلي والموضعي ويتعداه إلى أبعاده التداولية.

- إنّ أهم المقاصد التي استنبطها الشيخ من الخطاب القرآني ترتبط بالأبعاد التداولية، بتركيزه على مقصد الفطرة، ذلك أنّ مدار القرآن على استرجاع الإنسان لفطرته بتخليص العقل من الشذوذ الذي اعتراه، ولا يتحقق هذا المقصد الكلي إلا بامتثاله لأحكام الله بالتدبر في علل تشريعها والربط بين هدايات الآيات وواقع الأمة.

- يبرز تجديد الشيخ شلتوت في منهج الدراسة القرآنية بإبداعه المنهج الموضوعي مكانة الأزهر الشريف العلمية والمؤسساتية الرائدة؛ ذلك أنه يدعو إلى التجديد ونبذ التقليد من جهة، ويسعى إلى الإصلاح الاجتماعي من جهة أخرى بإرساء قيم المواطنة الفاعلة ومحاربته أسباب التطرّف ومن ثمّ نشر السلام.

التوصيات

ضرورة تفعيل الاتجاه المقاصدي ببعده المنهجي الموضوعي في تحليل الخطاب الديني، وإدراجه في المقرّرات التعليمية الأساسية لما يتمتّع به من قدرة على تقريب وجهات النظر للتقليل من الاختلافات المذهبية المفرّقة ولمحاربة التطرف الطائفي وللتصدي لأدعياء التديّن.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

- محمود شلتوت:
  - إلى القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م.
  - القرآن والقتال، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١م.
  - تفسير القرآن الكريم – الأجزاء العشرة الأولى-، دار الشروق، ط١٢، ٢٠٠٤م.
  - منهج القرآن في بناء المجتمع .alukah www.net

ثانيًا: المراجع:

- ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ط٢، ٢٠٠٧ م.
- أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية لبنان ط ١، ٢٠٠٤م.
- الطاهر بن عاشور:
  - تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
  - مقاصد الشريعة الإسلامية، ت محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط٢، ٢٠٠١م.
- أحمد الريسوني:
  - مقاصد المقاصد- الغايات العلميّة والعمليّة لمقاصد السريعة-، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، بيروت لبنان٢٠١٣م.
  - نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م.
- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ت عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

- فهد الرومي: بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط ٤، مكتبة التوبة.
- قطب الريسوني: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق الانتظار، مدخل إلى نقد القراءات وتأصيل علم التدبّر القرآني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط١، ٢٠١٠م.
- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسّرون، مكتبة وهبة، ط٨، ٢٠٠٣م.
- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي - نشأة التفسير الموضوعي – دار القلم، ط ٤،٢٠٠٥م.
- منيع عبد الحليم محمود: مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت ٢٠٠٠م.
- نصيرة محمد غماري، النظرية التداولية عند الأصوليين، دراسة في تفسير الرازي - عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤ م.

المراجع الأجنبية:

- J- R- Searle: les actes de langage,Essai de Philosophie du langage,préface d' Oswald Ducrot, Editions Hermann,1996

-François Recanati : Qu'est ce qu'un acte locutionnaire ? Dans Les actes de discours communications 32,1980 SEUIL

فهرس موضوعات البحث

الملخص ٢٣٩
المقدمـــة ٢٤١
المبحث الأول: البناء المنهجي للاتجاه المقاصدي ٢٤٤
١ - مفهوم الاتجاه والمنهج ٢٤٤
٢- مقومات الاتجاه المقاصدي ٢٤٥
المبحث الثاني: مقاصد القرآن العليا في "تفسير شلتوت" ٢٥٧
١ - نداءات القرآن ومقاصدها. ٢٥٧
٢- القصة القرآنية. ٢٦٤
٣- فواتح السور. ٢٦٥
المبحث الثالث: مقاصد الاتجاه المقاصدي في" تفسير شلتوت" ٢٦٩
١-الدعوة إلى الوسطية ونبذ التطرّف ٢٧٠
٢- الإرشاد إلى طرق الدعوة. ٢٧١
٣- الدعوة إلى التجديد. ٢٧١
٤-تحذير عموم المسلمين من الركون إلى أعداء الدين وموالاتهم. ٢٧٢
٥- إذاعة الوعي الديني عبر تعريف العامة بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم العام ونشرها. ٢٧٢
الخاتمـــة ٢٧٣
التوصيات ٢٧٣
المصادر والمراجع ٢٧٤
فهرس موضوعات البحث ٢٧٦